التكوين 3: 16: كلمات الله لحواء بعد التعدّي

Hans-Jörg Ronsdorf · مايو 2021 · نُقِّح في أكتوبر 2026

الآيات التي تحمل الرقم «الأصحاح 3، الآية 16» في الكتاب المقدس لها وزنها. لا يوحنا 3: 16 فقط، بل هذه الآية أيضًا من سفر التكوين. وهناك آيات أخرى بارزة تحمل الرقم 3: 16، وهذا طبعًا من قبيل المصادفة، لأن الأصحاحات لم تُقسَّم وتُرقَّم إلا لاحقًا في القرن الثالث عشر، والآيات لم تُقسَّم وتُرقَّم إلا في القرن السادس عشر.

ما يهمّنا هو ما **تعنيه وما لا تعنيه** الكلمات الموجّهة إلى حواء بعد أن أكلت الثمرة المحرّمة وأعطت منها آدم أيضًا. وهل لهذا أهمية؟ سيتّضح ذلك في نهاية نصّي. وإليكم بعض ترجمات هذه الآية:

> وقال للمرأة: سأكثّر جدًا مشقّة حبلك، بالأوجاع تلدين أولادًا؛ وإلى رجلك يكون اشتياقك، وأما هو فيسود عليك. (Elberfelder CSV – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)
>
> وقال للمرأة: سأجعل لك مشقّة كثيرة حين تحبلين؛ بالمشقّات تلدين أولادًا. ويكون اشتياقك إلى رجلك، لكنه يكون سيّدك. (Luther 2017 – ترجمة ألمانية للكتاب المقدس)

من هذه الكلمات استنتجت دائمًا وفسّرت، ربما كما فعلتم أنتم أيضًا: إن الله يعاقب حواء على تعدّيها بأن تصير الولادات صعبة ومؤلمة إلى حدّ مفرط. و: في توجّهها إلى زوجها تلتقي شخصًا يتسلّط عليها. وإن اتّبع المرء المعنى الحرفي لترجمة لوثر («يكون سيّدك»)، فإن هذا التسلّط نظام هرمي أراده الله: الرجل هو الرأس، والمرأة معين.

في هذه الكلمة يحدث نوع من تحديد المسار: كيف ننظر إلى المرأة وإلى مدى فعلتها ودوافعها وذنبها؟ وتؤدّي الترجمة في ذلك (كما يحدث كثيرًا) دورًا لا يُستهان به.

في هاتين الترجمتين، **المشقّة والحبل** اسمان يُربطان أحدهما بالآخر أو يُنسبان أحدهما إلى الآخر. لكن إن قرأ المرء هذه الآية في ترجمة Einheitsübersetzung أو في ترجمة زيورخ (Zürcher Bibel) (وهما ترجمتان ألمانيتان للكتاب المقدس)، فإنه يلاحظ أمرًا مهمًّا:

> وقال للمرأة: مشقّة كثيرة أعدّ لك، **و**كثيرًا ما ستحبلين. بالأوجاع تلدين أولادًا. إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. (Einheitsübersetzung)
>
> وقال للمرأة: أجعل لك متاعب كثيرة **و**أجعل حبلك كثيرًا، بالأوجاع تلدين أولادًا. إلى رجلك تشتاقين، وهو يسود عليك. (Zürcher Bibel)

لا علاقة مباشرة بين المشقّة والحبل في الترجمتين الأخيرتين. فهناك إذن **أمران** يُكثَّران: المشقّة والحبل.

والنصّ يقول بوضوح وحرفيًا، كما أكّد لي أحد قرّاء العبرية: «... تكثيرًا أكثّر أتعابك وحبلك ...».

وترجمة حرّة تصوغ الآية هكذا: أضاعف وأكثّر كدحك وحبلك؛ بالجهد والعناء تلدين أولادًا، لكن اشتياقك يكون إلى رجلك، وهو يسود عليك.

وقد انتبهت إلى هذه الخصوصية، المهمّة في رأيي، من خلال كتاب لبروس فليمنغ (Bruce Fleming)[1]، الذي ينقل هذه الآية هكذا:

> **سأكثّر بالتأكيد (1) عملك الشاقّ في الحقل و(2) حبلك.**

ثم يعلّم الله المرأة عمّا حدث لها ولهما، الآن وقد صارا فانيين وساقطين.

> **بالجهد تلدين أولادًا**
>
> **اشتياقك [المُحبّ] [هو] إلى رجلك**
>
> **لكنه [يتسلّط بتمرّد على نفسه و] سيتسلّط عليك.**

لماذا هذا التمييز في الجزء الأول من الآية 16 مهمّ؟ لأن الكلمات الموجّهة إلى حواء تأخذ بذلك نبرة مختلفة تمامًا، والأهمّ من ذلك مضمونًا مختلفًا. **أولًا، من المهمّ للغاية أن نقرّر أنه في خطاب الله هذا لا تقع على حواء أيّ لعنة على الإطلاق. بل العكس تمامًا!** أولًا يُنبأ لها بأنه سيكون لها كثير من التعب والجهد في ما يخصّ الزراعة، ويدخل في ذلك تربية المواشي وغيرها من الأعمال اليدوية التي تحفظ الحياة. وكلمة «المشقّة» بهذا المعنى لا ترد إلا ثلاث مرات، وتعني دائمًا العمل الشاقّ في الحقل. هكذا يسمعها آدم (التكوين 3: 17): الأرض ملعونة بسببك: «**بالتعب** تأكل منها كل أيام حياتك». وهكذا يقولها لاحقًا لامك عن ابنه نوح (التكوين 5: 29): «هذا يعزّينا عن عملنا و**تعب** أيدينا من قِبل الأرض التي لعنها الرب».

أخذ آدم الثمرة من حواء ببساطة، وهو يعلم المنع تمامًا، وأكل. لكن لعنة الله لا تصيب آدم. اللعنة تصيب الأرض. **نعمة أخرى في عدن.** والنتائج هي المشقّة في إنتاج الطعام. يصير الوجود صراعًا من أجل البقاء، بخلاف ما كان في عدن. ولأن حواء تعيش على الأرض نفسها، ولأنهما كزوجين يسيران معًا ليتدبّرا الحياة، فإنها تصيبها المشقّة نفسها التي تصيب آدم. والسبب ليس حواء، بل آدم، لأن الأرض ملعونة بسبب فعلته.

لكن الآن، في الجزء الثاني من الجملة الأولى، تأتي البشارة السارّة، الإنجيل. إن الحبل سيُكثَّر!

على الرغم من التعدّي يجوز لحواء أن تتمّم مهمّة الخليقة: أثمروا واكثروا واملأوا الأرض! على الرغم من التعدّي ستستمرّ الحياة. سيكون هناك نسل كثير. والأهمّ من ذلك أن واحدًا من هذا النسل سيسحق رأس الحيّة. فقد سمعت الحيّة أولًا هذه الكلمات التي وجّهها الله إليها:

> [التكوين 3: 15] وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنت تسحقين عقبه.

تُسمّى هذه الكلمات الإنجيل الأول أو «الإنجيل الأوّلي» (Protoevangelium). **لكنها موجّهة إلى إبليس، وهي بالنسبة إليه ليست بشارة سارّة بالتأكيد.** ثم يجب على الحيّة أن تسمع أن الله يضمن ويكفل أنه سيكون هناك نسل، أنه سيكون هناك نسل المرأة. وهذه بشارة سارّة لحواء، كما هي لآدم ولنا نحن الذين يُسمح لنا بأن نسمع معهم في الجنّة.

وهكذا تأخذ الكلمات الموجّهة إلى حواء معنى مختلفًا تمامًا، معنى إيجابيًا مملوءًا بالرجاء.

ستكون ولادة الأولاد شاقّة لحواء، كما ستكون الزراعة شاقّة لآدم. لقد صارت الحياة بعد السقوط مختلفة. وحين سمعت حواء هذه الكلمات لم تكن قد ولدت أي طفل بعد. الحيّة وآدم يسمعان كلمات لعنة وعقاب، فيها «قبل» و«بعد» سلبي. أما حواء فلا! لا يغيّر الله جسد المرأة حين يكلّمها في عدن. لكن بعض الترجمات تبدو كأن الله يغيّر المرأة بطريقة ما ويحوّل الولادة إلى أمر سيّئ.

إن ولادة الأولاد عملية محفوفة بالمخاطر، حين لا تتوفّر إمكانيات طبية كما هي اليوم في أنحاء كثيرة من العالم. لكن الله يقف إلى جانب النساء. هو عونهنّ ومخلّصهنّ (1 تيموثاوس 2: 15).

وفي حديث بالأمثال قال يسوع لتلاميذه – ولنا أن نفترض أنه هو نفسه الذي كلّم حواء في الجنة:

> [يوحنا 16: 21] المرأة حين تلد تقاسي الشدّة (أو: الضيق)، لأن ساعتها قد جاءت؛ ولكن متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الضيق (أو: الأوجاع) من أجل الفرح بأنه قد وُلد إنسان في العالم.

يتناول الكاتب في الآيات 16-19 قسوة الوجود البشري، ولا سيما الجانب الخلّاق من الحياة: التناسل وإنتاج الطعام. فالخفّة السابقة تختلط الآن بالمشقّة: الخير (النسل، الطعام) يأتي مع الشرّ (المشقّة).

تحطّم العلاقة

كيف كانت العلاقة بين الاثنين مقصودة؟ «بكلمتين عبريتين ذاتي معنى عميق، **ezer kenegdo**، يصف الله كيف خُلق الاثنان أحدهما للآخر. لقد خُلقا أحدهما للآخر، ولم يفصل بينهما إلا ساعات. وما إن يجتمعا حتى يكونا زوجين مثمرين راضيين، يعيشان معًا في جنّة عدن. ... و**ezer kenegdo** هو شخص مساوٍ، نظير، يعمل مع آخر، إذ يساعد كلّ منهما الآخر بتقاسم نقاط قوّتهما. ... وهذه الكلمة تولّد صورة شخصين يقفان وجهًا لوجه. ويمكن أن تُترجم بـ«قُبالة» (vis-à-vis)، أو «مقابل بوضوح»، أو «مطابق»، أو «مساوٍ».»[2]

لم يعد قصد الله هذا يتحقّق. فكلاهما تصيبه الآن المشقّة، وفي النهاية الموت. وعلاقتهما أيضًا لم تعد كما كانت. حواء تتوجّه إلى أبي أولادها، تأتمنه على نفسها، وتريد أن تكون إلى جانبه. لكن الجنس الذكوري، الأقوى جسديًا، يتولّى الدور القيادي من دون تفويض إلهي. يضع نفسه فوق المرأة، ويستغلّها ويقمعها. وقد أكّد تاريخ العالم ذلك ملايين المرات، طبعًا مع استثناءات كالعادة، كانت ولا تزال موجودة مرة بعد مرة وفي كل مكان.

كيف تصرّفت حواء؟

لقد أُغويت، وخدعها الكذّاب وقتّال الناس. وحين خاطبها الله بعد ذلك، أشارت إلى من كان عليه الذنب الأكبر: الحيّة.

> [التكوين 3: 13] فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلتِ؟ فقالت المرأة: **الحيّة غرّتني فأكلت.**

تتبرّأ حواء من الحيّة وتتّهمها. فالتعدّي الكبير الذي أطلقت به حواء انهيارًا جارفًا جاء عن طريق الإغواء. وهي تعترف بأنها أكلت. وموقفها أفضل بكثير من موقف آدم. ودرجة تعدّيها لا تُقارن بدرجة تعدّيه.

«سأل الله المرأة، كما هو موصوف في التكوين 3: 13: «ما هذا الذي فعلتِ؟» **فأجابت الله من دون مراوغة. أجابت الله من دون لوم. تكلّمت بطريقة مختلفة تمامًا عن الرجل.** لم تعد تنخدع. ربما اتّضح لها كل شيء حين سمعت الله يستجوب الرجل. وعلى كل حال صارت ترى الآن ما حدث. وبحكمتها الجديدة تعرّفت على الشرّ وقالت: «الحيّة غرّتني فأكلت.» وبهذا الجواب كشفت الحيّة الشريرة بوصفها مصدر خداعها. واعترفت بالشرّ الذي فعلته وهي مخدوعة – «فأكلت». هل ارتكبت هي أيضًا شرًّا أكبر كما فعل الرجل للتوّ؟ لا. هل اتّهمت الرجل الذي كان معها؟ لا. هل اتّهمت الله؟ لا. ومع ذلك فإن ما يرويه لنا الكتاب المقدس عنها ليس الطريقة التي تُصوَّر بها غالبًا. وهذا التصوير الخاطئ لها قائم منذ زمن طويل.»[3]

في عدن أخذ كل منهما قضمة. لكن درجات عصيانهما كانت مختلفة. فما كان يجري في قلب كلّ منهما لم يكن الشيء نفسه.

أما آدم فيتصرّف بعناد، بل والأسوأ من ذلك باتّهام:

> [التكوين 3: 12] فقال آدم: **المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت.**

يُلقي آدم أولًا اللوم على حواء. وعلى الله. إنه يكاد يكون اتّهامًا لله، كأن الخالق نفسه هو المذنب. وبذلك يقف أقرب إلى الحيّة منه إلى الله. وحواء تقف أقرب إلى الله من آدم. ولذلك يكون لحواء في هذه اللحظات الدور الأهمّ أيضًا: سيكون لها نسل (لا لآدم) سيقلب كل شيء، وسيكون سببًا لعدن جديدة وأفضل. هناك حيث لن يكون مجرّب بعد.

المُغوي

لا تستطيع الحيّة أن تهرب بعد هجومها. يكلّم الله الحيّة ويقول لها: أنتِ تعلمين أنك ستقعين في مشكلة! لقد سمعت ما قالته المرأة للتوّ. وكانت كلماتها صادقة. لقد كذبتِ عليها وخدعتِها، وقد كشفت هي للتوّ أعمالك. وأنا أثبّتها وأثبّتك خصمين. ستلدغين نسلها في العقب. لكن نسلها سيقضي عليك. على رأسك.

كان الشيطان مجرّبًا. فقد أغوى المرأة والرجل كليهما.[4] والنصّ العبري في التكوين 3: 1-5 يبيّن أنه في كل مرة يقول فيها «أنتم»، يستعمل ضمائر الجمع. بعبارة أخرى، لم يوجّه كلامه إلى المرأة وحدها. لقد قال: أنتما الاثنان، أنتم جميعًا، أنتما كلاكما. وكان الرجل حاضرًا وسمع ما قاله.

إنه يهاجم الله ويحرّف الحقّ! ينكر أنهما خُلقا حقًا على صورة الله كشبهه. ويقدّم عرضًا مضادًّا: كُلا هذه الثمرة فتصيرا مثل الله. ويتظاهر بأنه يقدّم لها معرفة صالحة. أما ما يقدّمه في الحقيقة فهو أن يعرفا الخير والشرّ![5]

خلاصة

أرجو أن يكون قد اتّضح، ولو جزئيًا، كم اختلف الناس في تفسير الكلمات الموجّهة إلى حواء. فمن خلال كل تفسير، أو بالأحرى من خلال كل نظّارة تفسيرية، تأخذ نصوص العهد الجديد عن حواء «لونًا» معيّنًا. وهما مقطعان فقط:

> [2 كورنثوس 11: 2-3] فإني أغار عليكم غيرة الله، لأني خطبتكم لرجل واحد، لأقدّم عذراء عفيفة للمسيح. ولكنني أخاف أنه كما خدعت الحيّة حواء بمكرها، هكذا تُفسد أذهانكم عن البساطة التي في المسيح.
>
> [1 تيموثاوس 2: 12-15] ولكن لست آذن للمرأة أن تعلّم ولا تتسلّط على الرجل، بل تكون في سكوت، لأن آدم جُبل أولًا ثم حواء، وآدم لم يُغوَ، لكن المرأة أُغويت فحصلت في التعدّي. ولكنها ستخلص بولادة الأولاد، إن ثبتن في الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقّل.[6]

إن الانخداع خطر حقيقي. وحواء مثال على ذلك. لا لأن النساء أكثر قابلية للانخداع. فهذا لا يمكن انتزاعه من النص. إنها مثال مؤثّر على الكيفية التي يمكن أن يجري بها مثل هذا الأمر. فالانخداع والتعرّض للغشّ ليسا مشكلة نسائية، بل مشكلة إنسانية. وليبحث المرء عن هذه الكلمات في العهد الجديد، حيث يدور الأمر دائمًا حول الجميع، رجالًا ونساءً.

يجب أن يتحمّل آدم المسؤولية عن السقوط. كانت حواء ضحية (ومع ذلك مسؤولة طبعًا). وكان آدم فاعلًا. لقد أخطأ «بيد رفيعة». أكل الثمرة وهو مفتوح العينين وعلى علم تامّ بوصية الله. هو، لا حواء، صار رأس البشرية الساقطة (رومية 5؛ 1 كورنثوس 15)، مع أنها أمّ كل حيّ.

«حين يحكم الله على الثلاثة عند الشجرة، يضع الله الرجل في كلمات دينونته مع الشيطان.[7] ويعامل الله المرأة بمعزل عن هذين المتمرّدين، لأنها لا تتمرّد عن قصد. فهي لا تصير عاصية إلا بعد أن أُغويت.»[8]

إن الطريقة التي يفسّر بها المرء حواء وفعلتها وكلماتها تنعكس على نظرته إلى النساء. ولهذا كُتب هذا النص: لكي ننظر من جديد إلى البداية تمامًا.

Hans-Jörg Ronsdorf، 25 مايو/أيار 2021، hj-ronsdorf@t-online.de

---

الحواشي

1. Fleming, Bruce; Fleming, Joy; Hagemeyer, Joanne. The Book of Eden, Genesis 2-3: God Didn't Curse Eve (or Adam) or Limit Woman in Any Way. نسخة Kindle، ص. 96.
2. Fleming, The Book of Eden، ص. 33.
3. Fleming, The Book of Eden، ص. 56.
4. حين يقول بولس مرتين إن حواء أُغويت، فذلك لأنها هي التي تكلّمت أولًا وتجاوبت وتصرّفت (2 كورنثوس 11: 3؛ 1 تيموثاوس 2: 14).
5. قارن: Fleming, The Book of Eden، ص. 54.
6. كتبت عن هذه الآية بالتفصيل (في كتابي «Frauen, vergebt uns!» («أيتها النساء، سامحننا!»)، الفصل 6.3): ليست منعًا شاملًا للنساء من التعليم، بل مشكلة محدّدة في أفسس، حيث تسلّم تيموثاوس رسالة بولس هذه. وتحذير بولس هو: من لم يُعلَّم ولم يتعلّم، امرأة كان أو رجلًا، لا ينبغي ولا يستطيع أن يعلّم الآخرين. لا في اجتماع الكنيسة ولا في أي مكان آخر. فهو يقول بوضوح في الرسالة الثانية: [2 تيموثاوس 2: 2] «وما سمعته مني بشهود كثيرين، أودعه أناسًا أمناء (باليونانية: anthropos؛ أناس: رجال ونساء)، يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضًا»، سواء في اجتماع الكنيسة أو ببساطة في أي مكان ولأي جمهور راغب في التعلّم. وبهذه الكلمة لا يناقض بولس نفسه حين يحثّ هنا النساء على التعليم، بل يبيّن ذلك أن امرأة أو بعض النساء في أفسس كنّ المشكلة، كما كان يمكن أن يكون الرجال هم المشكلة (وهو ما لم يكن الحال في هذا الموقف).
7. ويتّضح ذلك أيضًا من التشابه بين الكلمات الموجّهة إلى الحيّة والكلمات الموجّهة إلى آدم.
8. Fleming, The Book of Eden، ص. 110.